مجلة قراءات
ISSN : 1112-8658 EISSN : 2602-7259
المجلد 14، العدد 1، جوان 2026

مشكلة الحضارة بين التشخيص والعلاج في فكر مالك بن نبي

The Problem of Civilization Between Diagnosis and Remedy in the Thought of Malek Bennabi

كريمة قشراوي
جامعة البليدة2 (الجزائر)
kachraouikarima@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/05/20	تاريخ القبول: 2026/05/22

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز البعد الاجتماعي في المشروع الفكري عند مالك بن نبي، بوصفه أحد أبرز المفكرين الذين جعلوا من المجتمع محورًا أساسيا في بناء الحضارة وتحقيق النهضة. فقد انطلق في تحليلاته من واقع العالم الإسلامي وما يعيشه من تراجع حضاري وتفكك اجتماعي وهيمنة استعمارية، محاولًا الكشف عن الأسباب العميقة التي أدت إلى هذا الوضع، مع تقديم تصورات إصلاحية قائمة على التغيير الداخلي وإحياء الفاعلية الاجتماعية، وقد ربط مالك بن نبي بين النهضة وبين قدرة المجتمع على توظيف عناصر الحضارة الثلاثة: الإنسان، والتراب، والزمن، في إطار منظومة قيمية تقودها الفكرة الدينية، كما اهتم بإبراز دور الثقافة والنخبة والوعي في صناعة التحول الحضاري، مؤكدا أن الأزمة الحقيقية ليست أزمة إمكانيات بل أزمة أفكار وفعالية. ومن هنا تحاول هذه الدراسة الوقوف عند الأسس الفكرية التي شكلت المنهج الاجتماعي عنده، والكشف عن أهم القضايا التي عالجها من خلال هذا المنهج، مع بيان مدى صلاحية رؤيته لمعالجة أزمات الواقع الإسلامي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، الحضارة، النهضة، الثقافة، النخبة.

Abstract

This study seeks to highlight the social dimension in the intellectual project of Malek Bennabi, positioning him as one of the most prominent thinkers who established society as a fundamental axis for building civilization and achieving a renaissance. His analyses stem from the reality of the Islamic world—characterized by civilizational decline, social disintegration, and colonial domination—in an attempt to uncover the deep-rooted causes of this condition. Concurrently, he presents reformative paradigms predicated on internal change and the revitalization of social efficacy. Malek Bennabi correlated the renaissance with a society's capacity to utilize the three elements of civilization: man, soil, and time, within a value system guided by the religious idea.

Furthermore, he emphasized the role of culture, the elite, and consciousness in forging civilizational transformation, asserting that the true crisis is not one of material resources, but rather of ideas and efficacy. Consequently, this study endeavors to examine the intellectual foundations that shaped his sociological approach and to explore the primary issues he addressed through this methodology, ultimately demonstrating the contemporary relevance of his vision in resolving the crises of the modern Islamic reality.
Keywords; Society, Civilization, Renaissance, Culture, Elite.

مقدمة

برز مالك بن نبي في مرحلة تاريخية شديدة التعقيد، اتسمت بإحكام الاستعمار الفرنسي سيطرته على الجزائر سياسيًا وثقافيًا واجتماعيًا، وهو ما جعله يعيش منذ طفولته تجربة الاحتلال بكل ما تحمله من مظاهر القهر والتهميش وفقدان السيادة، فقد وجد نفسه داخل مجتمع يعاني من محاولات منظمة لطمس هويته العربية الإسلامية، من خلال ضرب مؤسساته التعليمية والدينية، وإضعاف لغته وثقافته، والعمل على تفكيك بنيته الاجتماعية وربطه بالنموذج الاستعماري التابع، ولم يكن الاستعمار بالنسبة إليه مجرد احتلال عسكري للأرض، بل كان مشروعًا شاملاً يستهدف عقل الإنسان ووعيه وذاكرته الحضارية، لذلك تشكّل وعيه الفكري في ظل هذا الصراع بين مجتمع يحاول التشبث بأصوله وقيمه، وقوة استعمارية تسعى إلى فرض هيمنتها الفكرية والثقافية، وقد انعكس هذا الواقع بوضوح على مشروعه الفكري، إذ ارتبطت معظم كتاباته بتحليل واقع المجتمع الإسلامي وتشخيص أسباب ضعفه وتراجعه الحضاري، محاولًا فهم الآليات التي مكنت الاستعمار من السيطرة على الشعوب الإسلامية، والكشف عن مواطن الخلل التي أصابت الإنسان المسلم وأفقدته فاعليته التاريخية.

ولم يقتصر اهتمام مالك بن نبي على رصد مظاهر التخلف ووصف حالة الانحطاط الحضاري التي يعيشها العالم الإسلامي، بل تجاوز ذلك إلى البحث في الشروط الأساسية التي يمكن أن تؤدي إلى نهضة حقيقية وشاملة، فقد كان مقتنعا بأن مشكلة الأمة ليست مشكلة فقر مادي أو نقص في الموارد الطبيعية فقط، وإنما هي في الأساس أزمة أفكار ووعي وتنظيم اجتماعي، ومن هنا اتجه إلى دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية والسياسية دراسة تحليلية عميقة، محاولا الكشف عن العوامل التي جعلت المجتمع الإسلامي عاجزا عن استعادة دوره الحضاري ومكانته التاريخية بين الأمم. ولذلك جاءت رؤيته الإصلاحية قائمة على فكرة التغيير الداخلي، باعتبار أن أي نهضة لا يمكن أن تتحقق ما لم يبدأ الإنسان بتغيير ذاته وإعادة بناء منظومته الفكرية والقيمية، كما ربط بين النهضة وبين بعث الوعي الحضاري الذي يجعل الإنسان مدركا لمسؤوليته التاريخية، وقادرا على الانتقال من حالة السلبية والتبعية إلى حالة الفاعلية والإنتاج، وفي هذا السياق أكد أهمية العمل الجماعي، ودور الثقافة والدين والقيم الروحية في بناء مجتمع متماسك يمتلك القدرة على الإبداع وصناعة الحضارة، لأن الحضارة في نظره ليست تراكما ماديا فقط، بل هي قبل كل شيء بناء للإنسان وإحياء لطاقاته الفكرية والأخلاقية.

وانطلاقًا من هذه الرؤية الفكرية، تحاول هذه الدراسة التعمق في المشروع الاجتماعي والحضاري عند مالك بن نبي من خلال الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المحورية التي ترتبط بجوهر فكره الإصلاحي، ومن أبرز هذه التساؤلات: ما طبيعة المنهج الاجتماعي الذي اعتمده في تحليل مشكلات المجتمع الإسلامي؟ وما الخلفيات الفكرية والتجارب التاريخية التي دفعته إلى تبني هذا الاتجاه؟ وكيف استطاع توظيف هذا المنهج في معالجة قضايا الحضارة والتخلف والاستعمار والقابلية للاستعمار؟ ثم إلى أي مدى يمكن اعتبار أطروحاته الفكرية صالحة لتفسير الأزمات التي يعيشها

العالم الإسلامي المعاصر، خاصة في ظل استمرار مظاهر التبعية الثقافية والتفكك الاجتماعي وضعف الفاعلية الحضارية؟ وتسعى الدراسة كذلك إلى إبراز القيمة الفكرية لمشروعه الحضاري، وبيان ما يتميز به من شمولية في تشخيص الأزمة، وربطها بعواملها النفسية والاجتماعية والثقافية، مع التركيز على الحلول التي اقترحها لإعادة بناء الإنسان والمجتمع وفق رؤية تستند إلى القيم الإسلامية ومتطلبات النهضة الحديثة.

1) الإطار المفاهيمي للمنهج الاجتماعي:

يشير مفهوم المنهج في الدراسات الإنسانية إلى ذلك الطريق المنظم الذي يسلكه الباحث من أجل فهم الظواهر وتحليلها والوصول إلى نتائج علمية دقيقة تقوم على الملاحظة والتفسير والاستنتاج، فالمنهج ليس مجرد خطوات تقنية معزولة، بل هو رؤية فكرية متكاملة تحدد طبيعة التعامل مع الموضوع المدروس، وتوجه الباحث نحو الآليات المناسبة لتحليل الوقائع وربط الأسباب بالنتائج. وقد ارتبط مفهوم المنهج في الفكر الحديث بالدقة والتنظيم والقدرة على تفسير الظواهر وفق قواعد علمية واضحة، لذلك أصبح يمثل الأساس الذي تقوم عليه مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية. وفي هذا السياق يعرف المنهج بأنه "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" (بدوي ، 1977، صفحة 45)، ومن هذا المنطلق فإن المنهج الاجتماعي يعد أحد أهم المناهج التي اهتمت بدراسة الإنسان باعتباره كائنا يعيش داخل مجتمع تؤثر فيه مجموعة من العوامل التاريخية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

ويُقصد بالمنهج الاجتماعي ذلك الأسلوب الذي يدرس الظواهر الإنسانية في ارتباطها بالمجتمع، إذ ينظر إلى الإنسان بوصفه نتاجًا لبيئته الاجتماعية والثقافية، لا مجرد فرد معزول عن محيطه. ولذلك يهتم هذا المنهج بتحليل العلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات، والكشف عن طبيعة التفاعلات التي تنتظم داخل المجتمع، كما يركز على دراسة النظم الاجتماعية والقيم والعادات والتقاليد والمؤسسات التي تؤثر في تشكيل السلوك الإنساني. فالفرد في المنظور الاجتماعي لا يتحدد سلوكه بناء على رغباته الذاتية فقط، وإنما يتشكل أيضًا من خلال الوسط الذي يعيش فيه، بما يحمله هذا الوسط من تصورات وقيم ورموز ثقافية، ولهذا يرى علماء الاجتماع أن المجتمع يمثل الإطار الذي تتحدد داخله شخصية الإنسان ووعيه وأدواره المختلفة، لأن "الفرد ابن بيئته الاجتماعية، يتأثر بها كما يؤثر فيها، ويكتسب من خلالها أنماط التفكير والسلوك" (عاطف ، 2006، صفحة 21).

ويقوم المنهج الاجتماعي على تحليل البنى الاجتماعية بمختلف مستوياتها، من الأسرة إلى الجماعات والمؤسسات والأنظمة الثقافية والسياسية، بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم حركة المجتمع وتحدد مساره. فهو لا يكتفي بوصف الظواهر الاجتماعية وصفًا سطحيًا، بل يحاول التعمق في أسبابها ودوافعها والظروف التي أدت إلى ظهورها، ولذلك يمتد إلى دراسة العوامل النفسية والفكرية والتاريخية التي تسهم في بناء المجتمع وصياغة هويته الحضارية. كما يهتم بتحليل ظواهر مثل التغير الاجتماعي، والصراع الطبقي، والتفكك الاجتماعي، والهوية الثقافية، ودور الدين والقيم في تنظيم العلاقات الإنسانية، ومن هنا أصبح المنهج الاجتماعي وسيلة أساسية لفهم طبيعة المجتمعات الإنسانية وتحليل أسباب تقدمها أو تراجعها، لأنه ينطلق من فكرة أن الظواهر الاجتماعية مترابطة ومتداخلة، ولا يمكن فهم أي ظاهرة بمعزل عن السياق الذي تنتمي إليه.

وقد اكتسب المنهج الاجتماعي أهميته الكبيرة من كونه يربط الإنسان بمجتمعه وتاريخه، ويبحث في تأثير المحيط الاجتماعي في صناعة الحضارة وتوجيه مسار الأمم. ولذلك ارتبط ظهوره بمحاولات تفسير حركة التاريخ والكشف عن القوانين التي تتحكم في العمران البشري، وهو ما يتجلى بوضوح في فكر عبد الرحمن بن خلدون الذي يُعد من أوائل

المفكرين الذين أسسوا لرؤية علمية في دراسة المجتمعات. فقد تجاوز ابن خلدون التفسيرات التقليدية التي كانت تعتمد على الروايات والأساطير، وسعى إلى بناء منهج يقوم على الملاحظة والتحليل وربط الأحداث بأسبابها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولهذا أكد أن فهم التاريخ لا يتحقق بمجرد نقل الأخبار، بل من خلال دراسة طبيعة الاجتماع الإنساني والقوانين التي تحكمه، إذ يقول: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة" (ابن خلدون ، 2004، صفحة 56)، ويكشف هذا القول عن وعي عميق بحركة المجتمع وتحولاته، وعن إدراك بأن التغير سنة تحكم المجتمعات البشرية.

كما نظر عبد الرحمن بن خلدون إلى العمران البشري باعتباره ظاهرة تخضع لقوانين يمكن دراستها وفهمها، ولذلك ربط قوة الدول والمجتمعات بعوامل مثل العصبية والتنظيم والعمل والاقتصاد، مبينًا أن الحضارات تمر بمراحل النشوء والقوة ثم الضعف والانهيار، وقد شكلت هذه الرؤية أساسا مهما لما أصبح يعرف لاحقا بعلم الاجتماع، لأن ابن خلدون حاول تفسير الظواهر الاجتماعية تفسيرا علميا يقوم على تحليل الواقع لا على الأحكام المسبقة، ومن هنا أصبح المنهج الاجتماعي أداة لفهم أسباب القوة والضعف في حياة الأمم، وتحليل العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات أو سقوطها، وهو ما جعل كثيرا من المفكرين المعاصرين، ومن بينهم مالك بن نبي، يستفيدون من هذا التصور في دراسة قضايا المجتمع والحضارة والتخلف.

ولم يعد المنهج الاجتماعي في الدراسات الحديثة مقتصرا على مجال علم الاجتماع فقط، بل امتد تأثيره إلى مجالات متعددة مثل الأدب والفكر والسياسة والتاريخ، حيث أصبح من الصعب دراسة أي ظاهرة إنسانية بمعزل عن سياقها الاجتماعي والثقافي. فالنصوص الأدبية مثلا لم تعد تقرأ باعتبارها أعمالا جمالية فقط، وإنما بوصفها انعكاسا للواقع الاجتماعي والتاريخي الذي أنتجها، كما أصبحت الظواهر السياسية تفسر في ضوء البنية الاجتماعية والقيم الثقافية السائدة داخل المجتمع. وهذا ما يبرز شمولية المنهج الاجتماعي وقدرته على الربط بين مختلف مكونات الحياة الإنسانية، لأنه ينظر إلى المجتمع باعتباره وحدة متكاملة تتفاعل داخلها العناصر الفكرية والاقتصادية والثقافية والنفسية بشكل مستمر.

2) البعد الاجتماعي في فكر مالك بن نبي:

احتلت قضية التغيير الاجتماعي موقعا مركزيا في المشروع الفكري عند مالك بن نبي، إذ انطلقت معظم تأملاته وتحليلاته من الإيمان بأن مشكلة العالم الإسلامي هي في جوهرها مشكلة مجتمع فقد شروط الفاعلية الحضارية، ولم يعد قادرا على أداء دوره التاريخي في صناعة الحضارة، ولذلك لم يتعامل مع قضايا التخلف والاستعمار بوصفها أحداثا سياسية عابرة، بل نظر إليها باعتبارها ظواهر اجتماعية وثقافية مرتبطة ببنية المجتمع نفسه، وبطبيعة العلاقات التي تحكم أفراده وأفكاره وقيمه، ومن هنا جعل المجتمع محورا أساسيا في مشروعه الإصلاحي، لأنه يرى أن أي نهضة حقيقية لا يمكن أن تتحقق بجهود فردية معزولة، وإنما تحتاج إلى مجتمع حي يمتلك شبكة متماسكة من العلاقات الإنسانية والروحية والثقافية، وقد عبر عن هذا المعنى بقوله: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى مستوى الأحداث الإنسانية" (مالك ، 1989، صفحة 43).

وقد اتجه مالك بن نبي إلى دراسة المجتمع الإسلامي دراسة تحليلية عميقة، محاولًا الكشف عن مظاهر ضعفه وأسباب انحطاطه الحضاري، فكان يرى أن الأزمة لا تتعلق فقط بفقدان القوة العسكرية أو التأخر الاقتصادي، بل تعود أساسا إلى انهيار الفعالية الاجتماعية وفقدان الإنسان المسلم لقدرته على الإبداع والعمل التاريخي. ولهذا كان يلح على ضرورة فهم طبيعة المجتمع الإسلامي من الداخل، وتشخيص الأمراض التي أصابته عبر مراحل الانحطاط الطويلة،

وقد ربط هذا الانحطاط بحالة الجمود الفكري والتفكك الاجتماعي وسيطرة النزعة الفردية، إضافة إلى غياب الفكرة العليا التي توحد المجتمع وتوجه طاقاته نحو أهداف حضارية مشتركة، لذلك كان يرى أن المجتمع الذي يفقد رسالته الحضارية يتحول إلى تجمع بشري عاجز عن الحركة والتجدد، مهما امتلك من إمكانيات مادية.

كما نظر مالك بن نبي إلى الأفكار باعتبارها العنصر الحاسم في حركة التاريخ وصناعة الحضارة، فهي في رأيه القوة التي تدفع المجتمعات نحو النهوض أو السقوط. ولذلك كان يؤكد أن الحضارات لا تقوم على الأشياء وحدها، وإنما على الأفكار التي تمنح الإنسان القدرة على تحويل الإمكانات المادية إلى إنجازات حضارية، وقد أوضح هذه الفكرة في قوله: "إن المشكلة ليست في أن ننتج أشياء، بل في أن ننتج أفكارا تحرك الأشياء" (مالك ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1988، صفحة 15)، فالأفكار عنده ليست مجرد تصورات ذهنية، وإنما طاقة اجتماعية تخلق داخل المجتمع روح الحركة والعمل والتنظيم، وتوجه الإنسان نحو الفعل الحضاري، ومن هنا اعتبر أن الأزمة الحقيقية التي يعيشها العالم الإسلامي ليست أزمة نقص في الثروات أو الموارد الطبيعية، بل هي أزمة أفكار ووعي وفاعلية اجتماعية، لأن المجتمع الذي يفقد الفكرة الفاعلة يتحول إلى مجتمع استهلاكي عاجز عن الإبداع، يعتمد على غيره في إنتاج المعرفة والتكنولوجيا والثقافة.

وقد انتقد مالك بن نبي النظرة التي تقيس تقدم المجتمعات بما تملكه من وسائل مادية فقط، لأن الحضارة في نظره ليست تكديسا للأشياء، وإنما هي قدرة المجتمع على إنتاج الأفكار وتنظيم العلاقات الإنسانية بطريقة تضمن الفعالية والإبداع. ولذلك كان يرى أن المجتمع المتحضر هو الذي يمتلك منظومة فكرية وأخلاقية قادرة على توجيه الإنسان نحو العمل المنتج، بينما المجتمع المتخلف هو الذي تتحول فيه الأشياء إلى غاية في ذاتها دون وجود فكر يوجهها أو يحدد وظيفتها الحضارية، وفي هذا السياق يقول: "إن غنى المجتمع لا يقاس بما يملك من أشياء، وإنما بما فيه من أفكار" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 84)، وهذا التصور يعكس البعد الاجتماعي العميق في فكره، إذ يجعل النهضة مرتبطة ببناء الإنسان فكريا وأخلاقيا قبل الاهتمام بالمظاهر المادية للتقدم.

ومن هذا المنطلق جعل مالك بن نبي المجتمع أساس عملية النهضة، لأن الفرد بمفرده لا يستطيع أن يحقق التغيير إذا ظل معزولا عن محيطه الاجتماعي والثقافي. فالحضارة في تصوره مشروع جماعي يقوم على تفاعل الأفراد داخل شبكة من العلاقات المتماسكة التي تنتج التعاون والتكامل والشعور بالمسؤولية المشتركة، ولذلك كان يؤكد أن المجتمع الحي هو الذي تتفاعل فيه الطاقات الفردية ضمن هدف حضاري موحد، بينما يؤدي تفكك الروابط الاجتماعية إلى ضياع الجهود وتحول المجتمع إلى أفراد متنافرين لا يجمعهم مشروع مشترك، وقد عبر عن هذه الفكرة بقوله: "المجتمع ليس تكدس أفراد، بل هو شبكة من العلاقات الاجتماعية" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 52)، ومن هنا كانت دعوته الدائمة إلى إعادة بناء الروابط الاجتماعية والثقافية داخل المجتمع الإسلامي، لأن النهضة لا يمكن أن تتحقق في ظل التفكك والصراع الداخلي وفقدان روح التعاون.

كما رفض فكرة استيراد الحضارة من الخارج بصورة جاهزة، لأن الحضارة في رأيه ليست سلعة يمكن نقلها من مجتمع إلى آخر، وإنما هي ثمرة تفاعل تاريخي وثقافي طويل يصنعه الإنسان داخل بيئته الخاصة، ولذلك كان يرى أن تقليد الغرب في مظاهره المادية لا يؤدي إلى النهضة الحقيقية إذا لم يصاحبه بناء داخلي للإنسان والمجتمع. فالحضارة لا تقوم على استيراد المنتجات والوسائل التقنية فقط، بل على القدرة على إنتاج الفكر والتنظيم والعمل الجماعي، ولهذا دعا إلى ضرورة بناء مشروع حضاري ينبع من خصوصية المجتمع الإسلامي وقيمه الثقافية والدينية، مع الاستفادة من منجزات العصر دون الوقوع في التبعية الفكرية والثقافية.

وقد ربط مالك بن نبي بين نشوء الحضارة وبين توفر ثلاثة عناصر أساسية هي الإنسان، والتراب، والزمن، معتبرا أن هذه العناصر تمثل القاعدة التي تقوم عليها كل حضارة في التاريخ، فالإنسان هو العنصر الفاعل الذي يملك القدرة على التغيير والإبداع، والتراب يمثل المجال المادي والاقتصادي الذي تستثمر فيه الطاقات، أما الزمن فهو الإطار الذي تتحدد داخله حركة المجتمع ومسار تطوره. غير أن هذه العناصر لا يمكن أن تتحول إلى قوة حضارية فعالة إلا إذا خضعت لتوجيه الفكرة الدينية التي تمنحها روحا أخلاقية وغاية حضارية، وقد لخص هذه المعادلة الشهيرة بقوله: الحضارة= الانسان + التراب + الزمن.

وكان يرى أنّ الفكرة الدينية هي العنصر الذي يربط هذه المكونات ببعضها ويحولها من عناصر جامدة إلى طاقة حضارية منتجة، لأن الدين يبعث في الإنسان معنى الواجب والمسؤولية ويمنحه القدرة على تجاوز الأنانية والمصالح الفردية، ولذلك اعتبر أن الحضارات الكبرى في التاريخ قامت عندما نجحت الفكرة الدينية في توجيه الإنسان نحو العمل والبناء والتضحية، بينما يبدأ الانحطاط عندما تفقد المجتمعات هذا البعد الروحي والأخلاقي، وفي هذا الإطار يقول: "الدين هو المركب الذي تتفاعل به عناصر الحضارة الثلاثة" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 91)، وهكذا يظهر البعد الاجتماعي في فكر مالك بن نبي من خلال ربطه بين النهضة وبين بناء الإنسان والمجتمع في إطار منظومة قيمية وروحية تجعل من الحضارة مشروعا أخلاقيا وإنسانيا متكاملا.

3) العوامل التي أسهمت في تشكيل توجهه الاجتماعي:

3-1) التجربة الذاتية:

تشكلت الرؤية الاجتماعية عند مالك بن نبي في سياق تجربة حياتية معقدة عاش خلالها آثار الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري في مختلف أبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية. فقد نشأ في بيئة تعاني من التهميش والفقر وطمس الهوية، وشاهد منذ سنواته الأولى مظاهر القهر التي فرضها النظام الاستعماري على الشعب الجزائري، الأمر الذي جعله يعي مبكرا طبيعة الأزمة التي يعيشها المجتمع الإسلامي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة، ولم يكن الاستعمار بالنسبة إليه مجرد وجود عسكري أجنبي، بل كان منظومة متكاملة تستهدف الإنسان في لغته وثقافته ودينه ووعيه الحضاري، وهو ما جعله يشعر بأن القضية الأساسية ليست قضية احتلال أرض فقط، وإنما قضية إنسان فقد شروط الفاعلية التاريخية وأصبح عاجزا عن الدفاع عن ذاته وحضارته.

وقد تركت هذه التجربة القاسية أثرا عميقا في تكوينه الفكري والنفسي، فارتبط وعيه منذ البداية بأسئلة النهضة والتخلف والاستعمار، وحاول أن يفهم الأسباب الحقيقية التي جعلت المجتمع الإسلامي يصل إلى هذه المرحلة من الضعف والانهيار، ولذلك لم تكن كتاباته منفصلة عن تجربته الذاتية، بل جاءت انعكاسا لمعاناته اليومية ومشاهداته المباشرة للواقع الاجتماعي والثقافي الذي كانت تعيشه الجزائر تحت الاحتلال، وقد أشار إلى هذا الارتباط بين التجربة الشخصية والوعي الحضاري في قوله: "كنت أشعر أن مشكلة بلادي ليست في نقص الرجال، بل في فقدان الفكرة التي تحرك الرجال" (مالك ، مذكرات شاهد للقرن، 1984، صفحة 87)، ويكشف هذا القول عن إدراك مبكر لديه بأن الأزمة الحضارية أعمق من أن تختزل في الجانب السياسي أو العسكري فقط.

كما امتاز مالك بن نبي بحس إنساني عميق جعله شديد التفاعل مع قضايا الإنسان ومعاناته، سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه، ولذلك اتسمت كتاباته ببعد إنساني واضح يجمع بين التحليل العقلي والنبرة الوجدانية، فقد كان يرى أن الإنسان هو محور كل عملية حضارية، وأن أي إصلاح حقيقي ينبغي أن يبدأ بإعادة بناء الإنسان نفسيا وفكريا وأخلاقيا، ومن هنا جاءت اهتماماته موجهة نحو دراسة أوضاع الإنسان المسلم وأسباب فقدانه لفاعليته

التاريخية، ولم يكن يتعامل مع الإنسان بوصفه عنصرا ماديا في المجتمع، بل باعتباره كائنا يحمل رسالة وقيما وقدرة على التغيير. ولذلك أكد في أكثر من موضع أن "مشكلة الحضارة هي في جوهرها مشكلة إنسان" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 45).

وقد انعكس هذا الحس الإنساني على طريقته في معالجة القضايا الاجتماعية، إذ لم يكن مفكرا نظريا منعزلا عن الواقع، بل كان يعتبر نفسه جزءا من معركة حضارية تهدف إلى إعادة بناء المجتمع الإسلامي وإخراجه من حالة التبعية والانحطاط، ولهذا لم يكتف بوصف الأزمة أو نقد مظاهر التخلف، وإنما حاول تقديم حلول عملية تقوم على إحياء روح العمل والمسؤولية والوعي داخل المجتمع، وكان يؤمن بأن المفكر الحقيقي هو الذي يرتبط بقضايا مجتمعه ويسعى إلى توجيه الأمة نحو النهضة،وليس هو الذي ينشغل بالتجريدات الفكرية البعيدة عن واقع الناس. لذلك جاءت كتاباته مرتبطة دائما بقضايا الإصلاح الاجتماعي والثقافي والحضاري، لأنها نابعة من معاناة حقيقية وتجربة معيشة.

2-3) التكوين الفكري والثقافي:

أسهم التكوين الفكري والثقافي المتنوع الذي حظي به مالك بن نبي في تشكيل رؤيته الاجتماعية والحضارية، إذ تميز بانفتاح واسع على مختلف التيارات الفكرية والمعرفية، سواء داخل التراث الإسلامي أو في الفكر الغربي الحديث. فقد اطلع على الفلسفات الأوروبية الحديثة، وقرأ في علم الاجتماع وعلم النفس والفكر السياسي، كما اهتم بدراسة تاريخ الحضارات وتحليل أسباب صعودها وسقوطها، وقد مكنته هذه الثقافة الموسوعية من امتلاك أدوات تحليلية واسعة ساعدته على فهم الواقع الإسلامي من منظور حضاري شامل، بعيدا عن النظرات الجزئية أو التفسيرات السطحية.

ولم يكن اطلاعه على الفكر الغربي مجرد اطلاع ثقافي عابر، بل كان محاولة لفهم الآليات التي مكنت الغرب من تحقيق نهضته الحديثة، والكشف عن العوامل الفكرية والاجتماعية التي أسهمت في تطوره الحضاري. ولذلك استفاد من كثير من المناهج الغربية في التحليل والدراسة، خاصة تلك المرتبطة بعلم الاجتماع وفلسفة التاريخ، لكنه ظل في الوقت نفسه محافظا على ارتباطه العميق بالمرجعية الإسلامية، وقد عبر عن هذا التوازن بقوله: "لسنا في حاجة إلى أن نرفض الحضارة الغربية، وإنما نحن في حاجة إلى أن نفهم أنفسنا أولا" (مالك، وجهة العالم الإسلامي، 1986، صفحة 67)، ويعكس هذا القول رغبته في تجاوز الثنائية التقليدية بين الرفض المطلق للغرب أو الذوبان الكامل فيه.

كما تأثر مالك بن نبي بالتراث الإسلامي وبأفكار عدد من رواد الإصلاح والتجديد، مثل محمد عبده وعبد الحميد بن باديس، الذين دعوا إلى إصلاح المجتمع الإسلامي وإحياء دوره الحضاري من خلال العودة إلى روح الإسلام وقيمه الأصيلة، وقد وجد في هذه الأفكار منطلقا مهما لبناء مشروعه الفكري، خاصة ما يتعلق بالجمع بين الدين والعقل، وربط الإصلاح الديني بالإصلاح الاجتماعي والثقافي، كما تأثر بوضوح بفكر عبد الرحمن بن خلدون في تحليله للعمران البشري وقوانين نشوء الحضارات وسقوطها.

وقد منحته هذه الثقافة المتنوعة قدرة كبيرة على المقارنة والتحليل والنقد، فاستطاع أن يستفيد من المناهج الغربية الحديثة دون أن يفقد هويته الفكرية الإسلامية، ولذلك جاءت رؤيته الحضارية محاولة للجمع بين الأصالة والمعاصرة، من خلال بناء مشروع فكري يستند إلى القيم الإسلامية ويستفيد في الوقت نفسه من منجزات الفكر الإنساني الحديث، ولهذا رفض التقليد الأعمى للغرب كما رفض الانغلاق على الذات، لأن النهضة في نظره تقوم على التفاعل الواعي مع الحضارات الأخرى دون فقدان الخصوصية الثقافية والحضارية، ومن هنا كان يؤكد أن "الأفكار لا

تكون نافعة إلا إذا تحولت في المجتمع إلى قوة أخلاقية واجتماعية" (مالك ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1988، صفحة 54).

3-3) الو اقع الاجتماعي والسياسي:

كان الواقع الاجتماعي والسياسي الذي عاشه مالك بن نبي من أهم العوامل التي دفعته إلى تبني المنهج الاجتماعي في تحليل قضايا الحضارة والتخلف، فقد عايش عن قرب آثار الاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري، ورأى كيف أدى الاحتلال إلى تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية وإضعاف روح المبادرة والعمل داخل المجتمع، ولذلك أدرك أن الاستعمار لا يقتصر على السيطرة العسكرية والاقتصادية فقط، بل يمتد إلى السيطرة الفكرية والنفسية، إذ يسعى إلى تحويل الإنسان المستعمَر إلى كائن فاقد للثقة بنفسه، عاجز عن الإبداع والمقاومة. ولهذا كان يرى أن أخطر ما يفعله الاستعمار هو قتل روح الفاعلية داخل الشعوب وإشعارها بالدونية الحضارية.

وقد جعله هذا الواقع يدرك أن التحرر الحقيقي لا يتحقق بمجرد خروج المستعمِر من الأرض، بل يحتاج إلى تحرير الإنسان من آثار التخلف والتبعية الفكرية والنفسية التي خلفها الاستعمار. ولذلك ركز على تحليل العلاقة بين الاستعمار والتخلف، محاولا الكشف عن الأسباب الداخلية التي جعلت المجتمعات الإسلامية قابلة للهيمنة الأجنبية. وفي هذا السياق صاغ مفهومه الشهير "القابلية للاستعمار"، الذي يعد من أبرز المفاهيم في مشروعه الفكري، إذ استخدمه لتفسير حالة الضعف الداخلي التي تجعل المجتمع عاجزا عن مقاومة الاستعمار أو حماية استقلاله الحضاري، وقد قال في هذا الصدد: "الاستعمار لا يطغى بقوته المجردة، بل بما في نفس المستعمَر من قابلية للاستعمار" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 73).

ويعكس هذا المفهوم رؤيته العميقة لطبيعة الأزمة الحضارية في العالم الإسلامي، لأنه لم يكن يحمل الاستعمار وحده مسؤولية التخلف، بل كان يرى أن هناك عوامل داخلية تتعلق بضعف الإنسان والمجتمع أسهمت في تسهيل الهيمنة الأجنبية، ولذلك دعا إلى ضرورة معالجة جذور الأزمة من الداخل، عبر إعادة بناء الإنسان المسلم فكريا وأخلاقيا واجتماعيا، وإحياء روح المبادرة والعمل والإبداع داخله. كما كان يرى أن النهضة الحقيقية تبدأ عندما يتحول المجتمع من حالة السلبية والاتكال إلى حالة الفاعلية التاريخية والوعي الحضاري.

ومن هنا أصبح التحليل الاجتماعي عند مالك بن نبي مرتبطا بشكل وثيق بفهم الواقع السياسي والثقافي الذي عاشته المجتمعات الإسلامية خلال مرحلة الاستعمار وما بعدها، لأن مشروعه الفكري كان في جوهره محاولة لتشخيص أسباب الانحطاط وبناء شروط النهضة الحضارية على أسس اجتماعية وثقافية وروحية متكاملة.

4) التخلّف الحضاري وإشكالية القابلية للاستعمار:

يرى مالك بن نبي أن التخلف الذي تعاني منه المجتمعات الإسلامية ليس مجرد تأخر اقتصادي أو ضعف تقني يمكن تجاوزه عبر استيراد الوسائل المادية الحديثة، بل هو أزمة حضارية شاملة تمس الإنسان في فكره ووعيه وسلوكه ونظرته إلى الحياة، ولذلك رفض التفسيرات السطحية التي تختزل أسباب الانحطاط في نقص الثروات أو غياب الإمكانيات، لأن كثيرا من المجتمعات قد تمتلك موارد طبيعية هائلة لكنها تبقى عاجزة عن تحويلها إلى قوة حضارية منتجة بسبب غياب الإنسان الفاعل والفكرة المنظمة، ومن هنا كان يؤكد أن جوهر الأزمة يكمن في انهيار الفعالية الاجتماعية وفقدان الإنسان المسلم لقدرته على الإبداع والعمل التاريخي، فـ: "مشكلة العالم الإسلامي ليست مشكلة أشياء، بل مشكلة أفكار" (مالك ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1988، صفحة 18)، ويكشف هذا القول عن

إدراكه العميق بأن الحضارة لا تقوم على المادة وحدها، وإنما على الإنسان القادر على توظيف المادة في إطار مشروع حضاري متكامل.

وقد حاول مالك بن نبي تفسير هذه الأزمة من خلال مفهومه الشهير الذي أشرنا إليه سابقا، "القابلية للاستعمار"، الذي يُعد من أبرز المفاهيم في مشروعه الفكري والحضاري، ويشير هذا المفهوم إلى حالة الضعف الداخلي التي تجعل المجتمع مهيأ للخضوع للهيمنة الأجنبية، لأن الاستعمار – في نظره – لا يستطيع أن يفرض سيطرته على مجتمع يمتلك الوعي والتنظيم والإرادة الحضارية، وإنما يجد أرضية خصبة في المجتمعات التي فقدت حيويتها الفكرية والاجتماعية، ولذلك لم يكن يحمل الاستعمار وحده مسؤولية التخلف، بل كان يرى أن هناك عوامل داخلية تتعلق بضعف الإنسان والمجتمع هي التي مهدت الطريق للاستعمار ومكنته من السيطرة، وقد عبر عن هذه الفكرة بقوله: "الاستعمار ليس من عبقرية الرجل الأبيض، بل من قابلية الرجل المستعمَر للاستعمار" (مالك ، شروط النهضة، 1989، صفحة 74).

ويعكس هذا التصور رؤية نقدية عميقة للواقع الإسلامي، لأنه يدعو إلى تجاوز عقلية الضحية التي تلقي اللوم كله على القوى الخارجية، والتركيز بدل ذلك على إصلاح الداخل وإعادة بناء الإنسان. فالمجتمع الذي يفقد وعيه الحضاري ويتخلى عن قيم العمل والتنظيم يصبح عاجزا عن حماية استقلاله السياسي والثقافي، مهما امتلك من إمكانيات مادية، ولذلك كان يرى أن مقاومة الاستعمار الحقيقي لا تكون بالسلاح وحده، بل تبدأ بتحرير الإنسان من السلبية والتبعية الفكرية والنفسية التي جعلته يقبل الهيمنة الأجنبية ويعيش في ظلها دون قدرة على الفعل والمقاومة.

كما انتقد مالك بن نبي حالة الجمود الفكري والتواكل التي أصابت الإنسان المسلم خلال مراحل الانحطاط الحضاري، معتبرا أن هذه الحالة أدت إلى تعطيل طاقات المجتمع وتحويله إلى مجتمع استهلاكي فاقد للمبادرة والإبداع. فقد رأى أن الإنسان المسلم بعد أن كان صانعا للحضارة أصبح يعيش على هامش التاريخ، يستهلك ما ينتجه غيره دون أن يشارك في إنتاج المعرفة أو التكنولوجيا أو الفكر. ولذلك كان يؤكد أن النهضة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا استعاد الإنسان ثقته بنفسه وقدرته على العمل والتغيير، لأن الحضارة تبدأ من داخل الإنسان قبل أن تظهر في شكل مؤسسات أو منجزات مادية، وفي هذا السياق يقول: "إن تغيير المجتمع يبدأ بتغيير الإنسان الذي يكون هذا المجتمع" (مالك ن.، 1986، صفحة 41).

ومن هنا ركز مشروعه الإصلاحي على ضرورة إعادة بناء الإنسان المسلم فكريا وأخلاقيا وروحيا، وغرس روح المبادرة والعمل والمسؤولية داخله، لأن الإنسان في نظره هو العنصر المحوري في كل عملية حضارية، كما دعا إلى تجاوز حالة الاتكال والانتظار، وربط النهضة بقيم العمل والانضباط والتنظيم الاجتماعي، لأن المجتمعات لا تنهض بالأماني والشعارات، بل بالفعل الحضاري القائم على الوعي والفاعلية، ولذلك كان يرى أن الأزمة الحضارية في العالم الإسلامي هي في الأساس أزمة إنسان فقد علاقته بالزمن والعمل والإنتاج، وأصبح يعيش في دائرة التكرار والجمود بدل الحركة والإبداع.

5) الدين بوصفه محركا للحضارة:

احتل الدين مكانة مركزية في فكر مالك بن نبي، إذ اعتبره العنصر الأساسي الذي يمنح المجتمع روحه الحضارية ويضمن تماسكه الأخلاقي والاجتماعي، فالحضارة في نظره لا تقوم على المادة وحدها، ولا يمكن أن تبنى اعتمادا على التقدم التقني أو الاقتصادي فقط، بل تحتاج إلى فكرة عليا توجه الإنسان نحو غايات سامية وتمنحه القدرة على تجاوز أنانيته الفردية، ولذلك كان يرى أن الدين يمثل القوة الروحية التي توحد المجتمع وتمنحه معنى لوجوده التاريخي،

لأنه يربط الإنسان بمنظومة من القيم الأخلاقية التي تحفزه على العمل والبناء والتضحية، فالدين عنده هو الذي الحضارة بطاقة روحية تجعلها قادرة على الاستمرار (مالك ب.، شروط النهضة، 1989، صفحة 92).

وقد رأى مالك بن نبي أن الإسلام يمتلك طاقة حضارية هائلة إذا فهم بوصفه مشروعا للحياة والعمل، لا مجرد شعائر وطقوس معزولة عن الواقع الاجتماعي، ولذلك انتقد الفهم السطحي للدين الذي يحصره في الجانب التعبدي فقط، لأن الإسلام دين يبني الإنسان والمجتمع والحضارة، ويمنح الإنسان رؤية متكاملة للعالم تقوم على التوازن بين الروح والمادة، ومن هنا دعا إلى إعادة ربط المسلم بقيم القرآن الكريم، وإحياء الوظيفة الاجتماعية للدين داخل المجتمع، لأن الدين حين يفقد تأثيره الأخلاقي والاجتماعي يتحول إلى طقوس شكلية عاجزة عن تحريك الواقع.

كما أكد أن الحضارات الكبرى في التاريخ قامت عندما نجحت الفكرة الدينية في توجيه الإنسان نحو العمل والبناء، لأن الدين يخلق داخل المجتمع حالة من التماسك الروحي والأخلاقي تجعل الأفراد قادرين على التعاون والتضحية من أجل هدف مشترك، ولهذا كان يرى أن الإسلام في بداياته استطاع أن يحول الإنسان العربي من فرد يعيش في مجتمع قبلي متفكك إلى إنسان حضاري قادر على بناء أمة امتدت حضارتها إلى مختلف أنحاء العالم، فالدين هو الذي أدخل الإنسان التاريخ عندما حول غرائزه إلى طاقة حضارية.

ولذلك رفض مالك بن نبي فكرة النهضة القائمة على التقليد الأعمى للنموذج الغربي، لأن استيراد الوسائل المادية وحدها لا يكفي لبناء حضارة حقيقية ما لم يكن المجتمع يمتلك منظومة قيمية وروحية خاصة به، ومن هنا دعا إلى بناء مشروع حضاري يستمد روحه من المرجعية الإسلامية، مع الاستفادة في الوقت نفسه من منجزات العصر العلمية والتقنية، فهو لم يكن يدعو إلى الانغلاق أو رفض الحضارة الحديثة، وإنما كان يؤكد ضرورة التفاعل الواعي معها دون فقدان الهوية الثقافية والدينية، ولذلك اعتبر أن النهضة الإسلامية الحقيقية لا تتحقق إلا عندما يستعيد المسلم ثقته بقيمه الحضارية، ويعيد توظيف الدين كقوة أخلاقية واجتماعية تدفعه نحو العمل والإبداع.

6) الثقافة والنخبة ودورهما في النهضة:

6-1) الثقافة وبناء الإنسان:

أولى مالك بن نبي أهمية كبيرة للثقافة، معتبرا إياها الأساس الذي تقوم عليه الحضارة وتتشكل من خلاله شخصية الإنسان وسلوكياته وقيمه، فالثقافة عنده ليست مجرد معارف أو معلومات نظرية، بل هي المحيط الفكري والأخلاقي الذي يحدد طريقة تفكير المجتمع ونظرته إلى الحياة والعمل والزمن، ولذلك عرف الثقافة بأنها "مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه" (مالك ب.، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1988، صفحة 39)، ويكشف هذا التعريف عن البعد الاجتماعي العميق للثقافة في فكره، لأنها تمثل الإطار الذي يتشكل داخله الإنسان حضاريا وأخلاقيا.

وقد اعتبر أن المجتمع الذي يفقد ثقافته يفقد قدرته على الاستمرار والتطور، لأن الثقافة هي التي تمنح الإنسان هويته الحضارية وتجعله قادرا على الإبداع والإنتاج. ولذلك انتقد حالة الاغتراب الثقافي التي أصابت العالم الإسلامي نتيجة الغزو الفكري الغربي، حيث تحول كثير من المجتمعات الإسلامية إلى مجتمعات مقلدة تستهلك أفكار غيرها دون أن تنتج رؤيتها الخاصة، وقد رأى أن هذه التبعية الثقافية أدت إلى فقدان الثقة بالنفس وإضعاف روح المبادرة والإبداع داخل المجتمع الإسلامي.

ومن هنا دعا إلى بناء مشروع ثقافي يعيد الاعتبار للإنسان المسلم ويمنحه القدرة على المشاركة الحضارية، من خلال ربط الثقافة بالقيم الأخلاقية والعمل والإنتاج، لا بالاستهلاك والتقليد، كما كان يؤكد أن الثقافة الحقيقية هي التي تصنع إنسانا واعيا بمسؤوليته التاريخية وقادرا على التفاعل الإيجابي مع عصره دون أن يفقد هويته الحضارية.

2-6) النخبة ومسؤولية التغيير:

حمل مالك بن نبي النخبة المثقفة مسؤولية كبرى في عملية الإصلاح الحضاري، لأنها الفئة القادرة على توجيه المجتمع وصناعة الوعي الجماعي، فقد كان يرى أن المثقف لا ينبغي أن يكتفي بإنتاج الخطابات النظرية أو الانشغال بالقضايا الهامشية، بل يجب أن يرتبط بقضايا المجتمع الحقيقية ويسهم في بناء مشروع حضاري يعيد للأمة فاعليتها التاريخية، ولذلك انتقد كثيرا من النخب التي انشغلت بالجدل الفكري العقيم وبالصراعات الإيديولوجية، دون أن تقدم حلولا عملية لمشكلات المجتمع.

كما انتقد ظاهرة تكديس الثقافة دون تحويلها إلى قوة اجتماعية منتجة، لأن المعرفة في نظره لا تكون نافعة إلا إذا تحولت إلى سلوك عملي يسهم في بناء المجتمع، ولهذا دعا إلى تكوين نخبة تمتلك روح الفاعلية والعمل الجماعي، وتربط الفكر بالمسؤولية الاجتماعية، لأن النهضة تحتاج إلى مثقفين قادرين على قيادة المجتمع نحو التغيير الحضاري لا إلى نخب معزولة عن الواقع، فقيمة الفكرة ليست في صحتها النظرية فقط، بل في قدرتها على التحول إلى قوة اجتماعية (مالك ب.، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 1988، صفحة 57).

7) التنمية في التصور الحضاري عند مالك بن نبي:

لم يفصل مالك بن نبي بين التنمية والحضارة، بل اعتبرهما وجهين لحقيقة واحدة، لأن التنمية الحقيقية في نظره ليست مجرد نمو اقتصادي أو زيادة في الإنتاج المادي، وإنما هي عملية حضارية شاملة تهدف إلى بناء الإنسان وتنمية قدراته الفكرية والأخلاقية والاجتماعية، ولذلك رفض التصورات التي تختزل التنمية في استيراد الوسائل التقنية الحديثة أو تحقيق التراكم المادي، لأن المجتمع قد يمتلك الثروة والتكنولوجيا لكنه يبقى عاجزا عن تحقيق النهضة إذا كان الإنسان فاقدا للوعي والفاعلية الحضارية.

وقد ربط التنمية بعناصر الحضارة الثلاثة التي تقوم عليها رؤيته الفكرية، وهي الإنسان والتراب والزمن، معتبرا أن نجاح أي مشروع تنموي مرتبط بحسن توظيف هذه العناصر داخل إطار حضاري منظم، فالإنسان هو العنصر المحوري في عملية البناء، لأنه القوة القادرة على تحويل الموارد الطبيعية إلى ثروة حضارية، أما التراب فهو المجال الذي تستثمر فيه الطاقات الاقتصادية والإنتاجية، في حين يمثل الزمن قيمة حضارية يجب استغلالها بفعالية بدل إضاعتها في السلبية والجمود.

كما أكد أن التنمية الحقيقية تحتاج إلى وعي اقتصادي واجتماعي يحرر الإنسان من الاتكالية والتبعية، ويجعله قادرا على العمل والإنتاج والمشاركة في صناعة المستقبل، ولذلك كان يرى أن مشكلة العالم الإسلامي ليست في قلة الموارد، بل في ضعف القدرة على تنظيمها واستثمارها حضاريا، ومن هنا دعا إلى بناء إنسان فعال يمتلك روح المبادرة والانضباط واحترام قيمة الوقت والعمل، لأن التنمية في النهاية ليست مشروعا ماديا فقط، بل هي مشروع حضاري متكامل يهدف إلى إعادة بناء المجتمع على أسس أخلاقية وثقافية وإنسانية سليمة.

خاتمة

تكشف قراءة المشروع الفكري عند مالك بن نبي عن رؤية حضارية متكاملة جعلت من المجتمع محورا للتغيير والإصلاح، فقد حاول هذا المفكر تفسير أسباب تراجع العالم الإسلامي من خلال تحليل البنى الاجتماعية والثقافية والفكرية التي أدت إلى تعطيل فاعلية الإنسان المسلم، وربط النهضة بإعادة بناء الإنسان وإحياء القيم الدينية والثقافية.

كما تميز مشروعه بتركيزه على دور الأفكار في صناعة الحضارة، وعلى أهمية الثقافة والنخبة في قيادة المجتمع نحو التغيير، ولم يكن هدفه مجرد نقد الواقع، بل السعي إلى تقديم حلول عملية تستند إلى فهم عميق لطبيعة الأزمة الحضارية.

ولا تزال أفكار مالك بن نبي تحتفظ بقيمتها الفكرية إلى اليوم، لأنها تعالج قضايا ما تزال حاضرة في واقع المجتمعات الإسلامية، مثل أزمة الهوية، والتبعية الثقافية، وضعف الفاعلية الاجتماعية. ولذلك يبقى مشروعه واحدا من أهم المشاريع الفكرية التي حاولت بناء تصور حضاري يربط بين الأصالة الإسلامية ومتطلبات العصر الحديث.

المراجع:

ابن خلدون ,ع .ب .(2004) .*مقدمة ابن خلدون .تحقيق :عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، 2004، ص 35*).ع .ا . الدرويش (.Ed ,دمشق :دار يعرب.

بدوي ,ع .(1977) .*مناهج البحث العلمي* .الكويت :وكالة المطبوعات .

عاطف ,م .غ .(2006) .*علم الاجتماع* .الاسكندرية :دار المعرفة الجامعية.

مالك ,ب .(1984) .*مذكرات شاهد للقرن*) .ع .ا .النعنعي (.Trans ,دمشق ,دار الفكر .

مالك ,ب .(1988) .*مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*) .ب .ب .شعبو (.Trans ,دمشق ,دار الفكر .

مالك ,ب .(1989) .*شروط النهضة*) .ع .ا .شاهين (.Trans ,دمشق ,دار الفكر .

مالك ,ن .(1986) .*ميلاد مجتمع*) .ع .ا .شاهين (.Trans ,دمشق :دار الفكر.

مالك ,ب .(1986) .*وجهة العالم الإسلامي*) .ع .ا .شاهين (.Trans ,دمشق :دار الفكر.